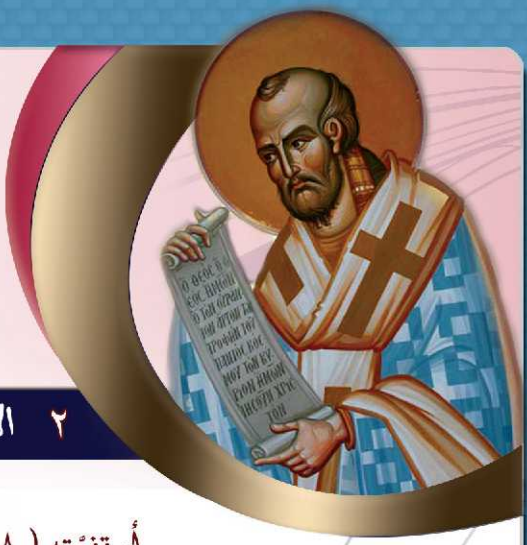

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢ الأسقف

أسقفيّته (٣٩٨- ٤٠٣م)

في سبتمبر ٣٩٧ م رقد نكتاريوس بطريرك القسطنطينية. تطلعت الأنظار إلى الإمبراطور أركاديوس بن ثيؤدوسيوس، وكان وزيره أتروبيوس الحاكم الفعلي للمملكة الرومانية الشرقية. سمع أتروبيوس الكاهن يوحنا يعظ في أنطاكية فأُعجب به، وفي غير تروٍ نطق باسمه خلفًا لنكتاريوس دون أن يقيم حسابًا لشخصية يوحنا، فهو إنسان لا يعرف المجاملات على حساب الحق! أعلن الإمبراطور الاسم، فطار الشعب والكهنة فرحًا. أرسل أتروبيوس إلى فيكتور أستريوس قائد جيوش الشرق يخبره بأمر الإمبراطور. استدعى الوالي الأب يوحنا، وسأله أن يرافقه في زيارة بعض مقابر الشهداء خارج المدينة، وما أن عبر الأب خارج الأسوار حتى حُمل قسرًا إلى القسطنطينية[١].

ارتجت مدينة القسطنطينية بحضوره، إلَّا أن البابا السكندري ثاوفيلس حاول ترشيح صديق له، كاهن تقي من الإسكندرية يدعى إيسيذورس (إسيدور). ربما خشي من شخصية الأب يوحنا أنه يطالب بتنفيذ قرار مجمع القسطنطينية أن يكون كرسي القسطنطينية الجديد الثاني بعد روما وقبل الإسكندرية، لأن القسطنطينية قد صارت روما الثانية. لكن أتروبيوس ضغط على البابا ليوافق على سيامة الأب يوحنا، فاشترك في سيامته في ٢٦ فبراير ٣٩٨م.

لم يحمل البابا ثاوفيلس للقديس يوحنا إلَّا كل حب وتقدير. فقد ساعده في مشكلة أوستاس *Eustace* بأنطاكية، حيث أراد القديس يوحنا أن يعيد الشركة بين أنطاكية وروما، وبينها وبين الإسكندرية، وأن يلم شمل أنطاكية بعد انقسامات طال زمانها.

رعايته لشعبه:

بدأ الراعي الجديد يعلن حبه لشعبه، ففي يوم رسامته قال: [أتحدث إليكم اليوم: إني أحبكم، كأني عشت معكم منذ البداية. أنتم تستحقون كل حبٍ.] [جذب كثيرين من الوثنيين والهراطقة للاتحاد به. كانت جماهير الشعب تلجأ إليه كل يوم[٢].]

قطعة حجر في القسطنطينية

انجذب أحد التابعين لهرطقة مقدونيوس لعظات يوحنا، فرجع إلى الإيمان الأرثوذكسي. وأما زوجته فبقيت في انحراف إيمانها. هدد الرجل زوجته بالانفصال عنها إن بقيت في هرطقتها، فوعدته بقبول الإيمان المستقيم. وإذ دخلت الكنيسة وجاء وقت التناول من الأسرار المقدسة تظاهرت جاريتها بالصلاة في خشوعٍ، فأحنت رأسها وناولت سيدتها قطعة من الخبز كانت قد أحضرتها معها. ما أن وضعتها المرأة في فمها وحاولت مضغها حتى تحولت بين أسنانها إلى قطعة من الحجر. للحال ارتعبت السيدة جدًا. ذهبت مسرعة إلى الأب البطريرك تعترف أمامه بكل شيء، وقدمت له قطعة الحجر وآثار أسنانها عليه. وكانت تبكي بمرارة تسأل الغفران. يعلق سوزومين على الرواية بقوله: [من يظن في هذه القصة عدم صدقها يستطيع أن يختبر الحجر المذكور، فإنه لا يزال محفوظًا في خزينة القسطنطينية.]

رعايته للفقراء:

تسلم القصر الأسقفي الذي أقامه سلفه الأسقف نكتاريوس، وقد تبقى به بعض قطع من المرمر، فباعها وقام بتوزيع ثمنها على الفقراء. كما ألغى النفقات الباهظة في الولائم والاستقبالات الكبرى. كان يرى في الفقراء مذبح الله المقدس، بل يرى فيهم السيد المسيح نفسه يمد يده ليتقبل عطية الحب من الإنسان، إذ يقول[٣]: [إنها تقيم من البشر كهنة!]

اهتمامه بالعذارى والأرامل

حرم على الكهنة قبول العذارى في بيوتهم حفظًا لسمعتهم، ومنعًا من العثرة.

أوجب على العذارى والأرامل العمل ليحفظهن من الفتور، كما نصح الأرامل والحدثات غير القادرات على السلوك باحتشام أن يتزوجن ثانية، فالترمل في ذاته ليس خيرًا ولا شرًا، إن لم يتحول إلى طاقات حب لله وخدمته.

يقول: "**إن كلامي أكثر فائدة لحياتي من الذين يسمعونني**[٤]". كما يقول: [الرجل العلماني إذا زل ينتصح بسهولة، أما الإكليريكي فإذا صار رديئًا يضحي غير قابل للنصح.] [**لست أظن أن كثيرين من بين الأساقفة يخلصون... إن هلاك نفس واحدة (من رعاياه) تحمل عنها عقوبة لا يمكن للغةٍ أن تعبر عنها**[٥].]

خاف على نفسه كبطريرك القسطنطينية فقال: [إني أسكب الدموع عندما أرى نفسي في كرسي فوق كراسي الآخرين، وعندما يقدم لي احترام أكثر من غيري[٦].]

+ + +

مع الشماسة أولمبياس

رأى فيها مثالاً طيبًا لمحبة الفقراء والصلاة مع النسك، دعاها القديس غريغوريوس النزينزي "مجد الأرامل في الكنيسة الشرقية". مدحها القديس يوحنا، قائلاً: لم يكن سهلاً أن يخرج من هو مثلها تمارس منذ شبابها المبكر حياة التجرد والإماتة مع ما تملكه من غنى وجاه وارتباط عائلتها بالبلاط[٧].

تشربت أولمبياس بالكتاب المقدس. [كنت خاضعة لتعاليم الكتب الإلهية في كل شيء[٨].] تأثرت بالأم ميلانية الكبرى. وكانت محبة للبتولية في نسكٍ عجيبٍ مع قدرة فائقة على الاطلاع، قيل عنها: [حولت الليل نهارًا، تفتش كتابات المفسرين القدامى... واستطاعت بفضل هذه الكتب، أن تتحول في رجاء صالح إلى **طائر روحي منطلق نحو المسيح**.]

اشتهرت بجمالها أيضًا، فتقدم لها نيبريديوس والي القسطنطينية ليتزوجها، وكان بين المدعوين القديس غريغوريوس النزينزي، الذي كتب إليهما [بالرغم من مرضي فإني أشارككم الاحتفال، إذ أربط يدي الشابة والشاب معًا في يد الله[٩].] يقول بالاديوس[١٠] إنها لم تبقَ مع زوجها إلاَّ أيام، وقد قيل إنها ماتت عذراء. عندما أراد لها الإمبراطور ثيؤدوسيوس أن تتزوج من أحد أقربائه ألبيديس الأسباني رفضت بشدة، فأمر أن توضع ممتلكاتها تحت الوصاية حتى تبلغ الثلاثين من عمرها. أما والي المدينة، فمنعها من رؤية الأساقفة أو الاشتراك في العبادة الكنسية، أما هي فكما "مثل غزال قفزت متخطية فخ الزواج الثاني[١١]".

كان الطوباوي نكتاريوس يكرمها جدًا، ويستشيرها في بعض شئون الكنيسة بالرغم من صغر سنها.

شركة عطاء الأمم:

التقى القديس يوحنا الكارز العظيم للصدقة بأولمبياس بكونها "أمًا حنونًا للفقراء". أخذ يشجعها على توزيع ممتلكاتها على الفقراء، وإقامة مؤسسات خيرية، كما أعطته أن ينفق بسعة في إرسال بعثات كرازية إلى الفينيقيين بتلال لبنان وسوريا وإلى بلاد القوط والروس. قال عنها بالاديوس: [إنها امرأة عجيبة... تشبه إناءً ثمينًا مملوءًا بالروح القدس!]

سرّ الصداقة:

(١) **محبته لها**: كان القلبان مرتبطين معًا في انطلاقة نحو الأبدية. يظهر ذلك من تلهفهما على الاطمئنان على بعضهما البعض، يود كل منهما أن يعرف أخبار الآخر الروحية والنفسية والصحية. يكتب إليها قائلاً: [ابعثي إليَّ أخبار صحتك دائمًا، فإنك تعرفين بالحقيقة أن تعزيتي تكون كبيرة جدًا في وحدتي عندما أعرف عنك أنكِ دائمًا في أحسن حال.]

[بولس هذا العجيب، الذي بذل لحمه وأنكر جسده، الذي جال في كل الأرض يحمل نفسه وحدها (كأنها بلا جسد)، وقد ألقى عنه كل هوى، وامتثل بالقوات الروحية (العلوية) بإيمانه، وقطن في الأرض كما في السماء وارتفع مع الشاروبيم، واشترك معهم في التسبيح السماوي، واحتمل الآلام... عندما ابتعد عن نفس عزيزة عليه اضطرب وتكدر، حتى هرب من المدينة التي لم يجد فيها من كان يتوقع أن يراه هناك... لقد عرفت ترواس هذا الأمر، فقد تركها لذات السبب، إذ لم تقدر أن تقدم له صديقه. "ولكن لما جئت إلى ترواس لأجل إنجيل المسيح، وفُتح لي باب في الرب، لم تكن لي راحة في روحي، لأني لم أجد تيطس أخي، لكن ودعتهم فخرجت إلى مكدونية" (٢ كو ٢: ١٢).]

(٢) **إعجابه بها**: [تزينتِ بأعمال الفضيلة العظيمة. **لقد لمستِ قبة السموات**... لست أخطئ التفكير إن أحصيتك في **مصاف العذارى الحكيمات** مع أنك أرملة.]

[أي مقال يمكن أن يكفي للحديث عن هذا كله؟ فإنه يطول بنا الحديث عن آلامك منذ نعومة أظافرك حتى الآن... أية لغة يمكن أن يعبر بها من يود أن يسجل **حزمكِ وسيطرتكِ على نفسكِ** أمام المائدة والنوم...

هذا أيضًا ما نراه في **سهرك المقدس**، فقد أخضعتِ الرغبة في النوم بإخضاعك الرغبة في الطعام، لأن كثرة الطعام هي غذاء لكثرة النوم... يعوزني ألف لسان لأنادي باسمك من أجل **بساطة مظهرك**، إذ تعيشين هكذا بيسرٍ... تأملي عطفك الذي هو كالمحيط، انفتحت مصاريعه إلى أقاصي المسكونة، وانتشر بقوة عظيمة، فإنك لم تكتفي بفتح بيتك لكل آتٍ، بل في كل بقعة في الأرض والبحر تمتع كثيرون بكرمكِ...

إذ تجمعين مثل هذه الأفكار افرحي وتهللي في رجاء نوال هذه الأكاليل والمكافآت.]

(٣) **ثقته فيها:** يتحدث معها في أدق أموره الشخصية، كما يوكل إليها بمهام متنوعة، لأنها قادرة أن تتحمل المسئولية. كتب إليها [**اهتمي برسائلي بكل الطرق**، وإن كان كاهن هيلاديوس ليس في مكانه، اعملي على إرسالها إلى أصدقائي بيد إنسانٍ حكيمٍ وواعٍ[١٢].]

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل نجده يوكل إليها أمرًا دقيقًا، أن **تهتم بالنفوس التي تحطمت أو انحرفت بسبب الضيق والأعداء**، فيقول لها في ذات الرسالة [لا تكُفي عن الاهتمام بالأسقف ماروتاس ، كأنما تهتمين بنفسك. **أنقذيه من الهاوية.**]

كما يعهد إليها في ذات الرسائل أمرًا يراه في منتهي الخطورة، وهو محاولات رسامة أسقف جديد على بلاد القوط كانت تسير بطريقة خاطئة، فكتب إليها كصديق يحدث صديقه في أمر جاد وخطير حيث يستطيع الصديق أن يعمل الكثير، فيكتب لها عن تفاصيل كثيرة تخص شروط الأسقف الذي يسام للقوط، طالبًا منها أن تبذل كل جهدها أن ترجئ الرسامة بطريقة خفية لا يشعر بها أحد.

كتب إليها عن تصرفات بعض كهنة الأسقف، الذين أعلنوا ولاءهم للقديس يوحنا، الأمر الذي يعرض حياتهم للخطر، لذا يكتب إليها قائلاً "لا يعلم أحد غيرك هذا"، "احتفظي بهذا لك[١٣]".

+ + +

طـرق الآلام

كتب إلى شماسته أولمبياس يصف لها مرارة الاضطهاد والضيق الذي يعيشه في منفاه، قائلاً لها: "**إني أطير فرحًا! إني أثب مبتهجًا من أجل أني أخزن كنزًا عظيمًا**[١٤]".

١ القديس يوحنا ورجال الإكليروس

إن كان الأسقف الجديد قد استطاع بغيرة قلبه أن يجذب الكثير من شعبه، لكن هذا الأمر كان صعبًا أن يحدث بين رجال الإكليروس، بل على العكس أدت شدة اهتمامه بهم ورغبته في الإسراع بإصلاح حياتهم إلى فتور علاقة الكثيرين به، بل بلغ الأمر أحيانًا إلى الاحتداد بينهم خفية وأحيانًا علانية. فقد جاء القديس يوحنا ليجد القصر الإمبراطوري يناصب القصر الأسقفي، وقد انفتحت السياسة على الكنيسة، واختلط الأساقفة برجال الحكم، مترددين

على البلاط، يتنافسون على التقرب والتودد لأصحاب السلطة. هذه الصورة لم يحتملها الأسقف الجديد، فبدأ في إصلاح الموقف يوبخ وينتهر، بل وأحيانًا يطرد من الكنيسة، الأمر الذي سبب له الكثير من المتاعب.

كان صرابيون، وهو شماس من حاشيته، علَّة تزايد تباعدهم عنه. قد حدث مرة أن صرخ بأعلى صوته، مخاطبًا الأسقف في حضرة كل الكهنة المجتمعين معًا، قائلاً: لن تقدر يا سيدي أن تضبط هؤلاء الرجال إن لم تحكمهم بالعصا. وقد آثار القول شعورًا بالعداء نحو الأسقف، وفعلاً لم يمضِ وقت طويل حتى استبعد الأسقف كثيرين منهم من الكنيسة.

مشكلة عدم أكله مع الآخرين:

كانت دار الأسقفية قبل رسامته أشبه بدار ضيافة، يستقبل فيها الأساقفة والكهنة مع عظماء الشعب ووجهائه بولائم باهظة التكاليف، لكن يوحنا المحب للفقراء منع مثل هذه الولائم لتنفق تكاليفها على إخوة المسيح، أما هو فكان يأكل مرة واحدة في اليوم بمفرده. وقد أثار ذلك زوبعة عنيفة بين رجال الإكليروس.

أتعب نسك القديس يوحنا نفسية الكثيرين من الإكليروس، ففي الوقت الذي فيه جذب نسكه شعب القسطنطينية أحس الإكليروس أنه بهذا يفضحهم ويكشف ترفههم.

لهذا كله هاج بعض رجال الإكليروس واتهموه في عدم أكله مع الآخرين بالكبرياء والاعتداد بالذات، كما أعلنوا أنه ما يليق بالأسقفية أن توقف الولائم، ففي هذه واجبات الضيافة والكرم!

٢ القديس يوحنا وسقوط أتروبيوس:

ولد أتروبيوس كعبد في حكم الميزوبوتاميا (ما بين النهرين أو دولة العراق القديم)، واجتاز سن الطفولة والصبوة كعبدٍ. اشتراه أرنيثيوس الذي كان يقوم بعمل عسكري هام، قدمه هدية لابنته عند زواجها. تضايقت من تصرفاته بعدما صار شيخًا، فأطلقت سراحه.

ذهب العبد إلى القسطنطينية حيث صار في عوزٍ شديدٍ، فرثى له أحد موظفي البلاط مهيئًا له عملاً بسيطًا بين حجاب الإمبراطور. استطاع أن يجذب أنظار الإمبراطور ثيؤدوسيوس باجتهاده في عمله ولباقة حديثه وسرعة خاطره، فوثق به وأوكل إليه القيام بأعمال خطيرة وحساسة. بعد موت الإمبراطور ثيؤدوسيوس صار أتروبيوس رئيس الحجاب والمشير الخاص لأركاديوس إمبراطور الشرق، والمساعد الدائم له. هذه المهمة كانت أصلاً في يد روفينوس.

كان أتروبيوس يتودد لروفينيوس بخبثٍ، واستطاع بدهائه أن يبطل تدابيره في تزويج ابنته بأركاديوس، مستبدلاً بها أفدوكسيا التي حفظت له هذا الجميل زمنًا. فلما أُغتيل روفينوس صارت السلطة الحقيقية في يد أتروبيوس الخصْي تسنده أفدوكسيا.

ألغى حق اللجوء الكنسي رغم احتجاجات البطريرك يوحنا، بهذا يقدر أن يغتال من يغتاله، ويقتله كما يشاء وينفي ويستبعد بلا عائق.

كان أتروبيوس هو علة سيامة يوحنا بطريركًا على القسطنطينية، وقد بدأ يمد له المعونة مظهرًا له مساندته، خاصة في إرسال بعثات كرازية. لكن القديس يوحنا كان لا يعرف المداهنة، فكان يتحدث بجرأة نادرة ضد شرور الأغنياء في ذلك الحين. وقد أحس أتروبيوس والشعب أيضًا أن أول من ينطبق عليهم هذه الأقوال هو أتروبيوس.

في عام ٩٩٣م سقط أتروبيوس بمكيدة دبرها غاياناس ليحتل مركزه، فأعدمه.

سقوط أتروبيوس:

هرع أتروبيوس إلى الكنيسة وجرى نحو مذبحها مستندًا إلى حق اللجوء الكنسي الذي ألغاه هو! إذ لاح الصباح صارت الكاتدرائية كتلة متزاحمة من الجموع، الكل متعطش إلى النقمة من هذا المتصلف! وجد الأب البطريرك فرصة نادرة ربما لا تتكرر بهذه القوة وفي تلك الصورة، فتحدث معهم في مقاله الأول عن أتروبيوس، معلنا "باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح"، بدأ يسأل أتروبيوس أين عظمته وأمواله وسلطته وأصدقاؤه، ليؤكد أنه "قد صار الكل أشبه بخيالات الليل، كانت كنسيج العنكبوت الذي تهرأ."

سرعان ما رفع أنظار شعبه إلى المذبح ليروا أتروبيوس وهو ممسك بقرون المذبح، يلتجئ إلى مراحم الله وحنان الكنيسة. إنه "**زينه المذبح**" عوض النقمة والتشفي، إذ يرون أتروبيوس مضايق الكنيسة قد صار معلمًا يشهد بحب الكنيسة لمضايقيها، وهكذا أصبح "زينة المذبح" خلال حبهم له، ورفقهم به رغم مقاومته السابقة!

لم يثق أتروبيوس في الكنيسة، فخرج منها وأُلقي القبض عليه حيث أعدم في خلقدونية. عاد القديس يوحنا يحدث شعبه عن أتروبيوس، مقارنًا بين عمل العالم مع محبيه، وعمل الله مع محبيه. لقد عبر القديس عن "العرس الروحي السماوي الأبدي".

أثار هذا العمل **نفس الإمبراطورة أفدوكسيا** ضده. "لقد رأت في يوحنا منافسًا يقدر أن يقاوم حتى البلاط الإمبراطوري، فاشتهت لو تخلصت منه!"

أدخل الإمبراطور ثيؤدوسيوس عددًا كبيرًا من القوط إلى الجيش، وكان من بينهم غاياناس، الذي إرتقى في الرتب، وكان مهتمًا بشئون أبناء جنسه، الذين لم يكن عددهم قليلاً في العاصمة. دبر مكيدة عسكرية يغتصب بها مركز أتروبيوس. فقد أرسل إلى أهل بلده أن يزحفوا على المقاطعات الرومانية، وأشار إلى أحد أقربائه تيربنجيلس القائد لعدد ضخم من الجنود في فيريجية بآسيا الصغرى أن يقوم بعصيان مسلح. أما هو فتظاهر أمام الإمبراطور بأن ينطلق ليخمد نار الثورة والعصيان في فيريجية. وإذ جمع شمل عدد كبير من البرابرة انقلب مهاجمًا الأراضي الرومانية. أدرك الإمبراطور الخطر الذي يلحق بالدولة. فأرسل إليه يطلب التفاهم معه ومراضاته. طلب غاياناس تسليم اثنين من مستشيري الإمبراطور هما ساتيرنينوس وأوريليان الذين حسبهما معاديين له. وإذ سُلما له عفا عنهما، بعد ذلك أقيم مجلس صلح بينه وبين الإمبراطور بجوار خلقدونية، في موضع الصلاة الذي وضع فيه الشهيدة أوفيميه. في هذا المجلس أقسم الاثنان أن يعيشا بروح الصداقة. طلب قتل أتروبيوس، فهرب إلى الكاتدرائية، لكنه ما أن خرج منها حتى ألقى القبض عليه وأُعدم بخلقدونية...

كان غاياناس مثل أكثر القوط في ذلك الحين أريوسيًا، فشجع الأريوسيين، الذين أخذوا يجتمعون ليلاً أجواقًا ينشدون الترانيم الأريوسية. أما القديس يوحنا فلم يقف مكتوف الأيدي، لكنه استطاع ببلاغته وروحانيته أن **ينظم على الفور تسابيح وترانيم أرثوذكسية تعلن لاهوت السيد المسيح في أسلوب روحي عذب، بها يحيون الليالي.** اهتم أيضًا القديس يوحنا بالقوط الأرثوذكس، فرسم لهم كاهنًا منهم. يصلي معهم بلغتهم.

ظن غاياناس أنه يستطيع أن يستغل نفوذه فيطلب إحدى الكنائس الأرثوذكسية يصلي فيها وجماعته الأريوسيون. وفعلاً فاتح الإمبراطور في الأمر، وإذ كان يخشاه وافقه على طلبه، وأرسل إلى البطريرك يخبره بالأمر. لكن البطريرك التقى بالإمبراطور يقول له: "لا تعطه يا سيدي وعدًا. إني لن أسمح قط أن يطرد العابدون والمسيحيون للكلمة الإلهي ليحتل المجدفون عليه." دعاهما الإمبراطور في حضرته. فبدأ غاياناس يطلب تحقيق ما وعد به، لكن يوحنا أجاب أنه لا يحق للآمبراطور الذي يؤمن بإيمان مستقيم أن يتجاسر فيصنع أمرًا يخالف إيمانه.

بهذا أبكم معلم المسكونة غاياناس، الذي خرج غاضبًا، واضعًا في قلبه أن ينتقم لنفسه من الإمبراطور والبطريرك، وإذ كان غاياناس يعرف كل أسرار البلاط أرسل جنودًا يحرقونه ليلاً،

لكنه وجدوا حراسًا على البلاط لم يتوقعوهم، فرجعوا مرتعبين يخبرونه بالأمر. دهش غاياناس وذهب بنفسه يتحقق الآمر، **فوجد ملائكة تحرس القصر، فارتعب وخاف.**

٤ القديس يوحنا وأفدوكسيا :

تعلق الإمبراطور أركاديوس وزوجته أفدوكسيا بالبطريرك يوحنا إلى أبعد الحدود. وقد بلغ التجاوب أشده عندما لعبت الإمبراطورة دورًا في احتفالات الشهداء. فعندما نقل رفات بعض الشهداء حضرت بنفسها في ثيابها الرسمية، يحوطها عدد كبير من رجال البلاط واشتركت في الاحتفالات. ويبدو أنها بقيت حتى وقت متأخر من الليل، إذ وقف الأسقف عندما بدأ الفجر يلوح يعظ معبرًا عن إعجابه بالإمبراطورة وتقواها.

ويرى البعض أن هذه الصداقة قد دامت في قوتها إلى وقت سقوط أتروبيوس عام ٣٦٦.م حيث ظهرت شخصية الذهبي الفم في وساطته لدى الإمبراطور عن أتروبيوس، في الوقت الذي كانت فيه مُرّة النفس تجاه أتروبيوس وتود الخلاص منه. كما تلألأت بالأكثر شخصيته في وقفته الجريئة أمام غاياناس القوطي!

سجل لنا التاريخ بعض تصرفات القديس معها، فقد قيل أن بولاسيوس والى الإسكندرية كان قد ظلم أرملة واختلس منها خمسمائة دينار، وإذ اِعتزل منصبه وقطن القسطنطينية جاءت الأرملة تشكوه لدى البطريرك، بعدما لجأت إلى القضاء كما لجأت إلى الإمبراطورة التي ألزمته بدفع ستة وثلاثين دينارًا فقط. ترقب البطريرك دخول بولاسيوس الكاتدرائية واحتجزه حتى يدفع مال الأرملة، فأرسلت الإمبراطورة تطلب إطلاق سراحه فرفض. ولما احتدم غضبها وأرسلت جندًا يخرجونه بالقوة وجدوا ملاكًا مرعبًا، الأمر الذي أرعب الإمبراطورة، فدفعت المال للأرملة ليطلق سراح بولاسيوس.

أرسل إليها يرجوها أن ترد حقلاً اغتصبته من أرملة ظلمًا، فلم تجبه بشيءٍ. وفي يوم عيد الصليب كانت الإمبراطورة قادمة إلى الكنيسة يسبقها الإمبراطور مع حاشيته، فأمر البطريرك بغلق الباب في وجهها. أمرت الحرس بكسر الباب بالقوة. وما أن رفع أحد الجنود يده بسلاحه حتى يبست في الحال. فارتعب الحاضرون وامتلأت أفدوكسيا خوفًا، وعادت إلى القصر ترعد وتزبد وتهدد.

٥ القديس يوحنا وسفريان أسقف جبالة :

قال عنه جينياديوس: [كان سيفريان (سيفريانوس) *Severianus* أسقف كنيسة جبالة متعلمًا في الكتب المقدسة، واعظًا عجيبًا، لهذا كثيرًا ما كان يدعوه الأسقف يوحنا والإمبراطور أركاديوس للوعظ بالقسطنطينية[١٩]]

ارتبط بصداقة قوية مع القديس يوحنا الذهبي الفم، حتى أنه في يناير سنة ٤٠١ م إذ اضطر القديس يوحنا للسفر إلى أفسس ليوفق بين الطرفين المتعارضين في شأن ترشيح رئيس أساقفة أفسس، كما عقد بها مجمعًا حرم فيه ست أساقفة سيموا بالسيمونية[16]، ترك أمر الوعظ في القسطنطينية لصديقة سفريان المقيم بالبلاط.

في أثناء غياب الأب البطريرك يوحنا ساءت العلاقات بين سفريان والشماس صرابيون الذي أوكل له البطريرك تدبير إدارة الإيبارشية. رأى صرابيون في الأسقف أنه يحاول التفوق على أسقفه يوحنا ليأخذ شعبيته في الوعظ.

يبدو أن الأسقف سفريان قد أفصح بطريق أو بآخر بما يسيء إلى الأب البطريرك في غيابه، لذلك اضطر الذهبي الفم بعد عودته أن يتحدث مع شعبه عن ارتباطهم به.

قام سفريان بدور رئيسي في مجمع السنديان عام ٣٠٤م لمحاكمة الأب البطريرك، بل ووقف أمام الشعب يبرر قرار المجمع بحرمان بطريركهم[17]، وهو المسئول الأول عن صدور القرار الإمبراطوري بنقل البطريرك من منفاه بكوكوزه إلى بيتس حيث تنيح في الطريق بسبب قسوة معاملة الجند له.

٦ القديس يوحنا ومشكلة الإخوة الطوال:

دخلت مشكلة الإخوة الطوال مع البابا ثاوفيلس السكندري حياة القديس يوحنا الذهبي الفم، فدفعت به دفعًا إلى عداوة البابا ثاوفيلس، استغلتها الإمبراطورة أفدوكسيا لتحقيق مآربها، ووجد فيها الأسقف سفريان وغيره من الأساقفة المضادين للبطريرك فرصتهم للتنكيل به، فدخل الذهبي الفم إلى الاستشهاد، وتشوه تاريخ البابا ثاوفيلس!

---

1 *Soz. 13: 2. Palladuis 5: 19.*
2 *Soz. 8: 5.*
3 *In 2 Cor. Hom. 20 (P. G 61: 540).*
4 *In 2 Thes, PG 62:498.*
5 *Hom. On Acts, Homily 3.*

٦ الحب الرعوي ص ٤٦٧.

7 *Epistle 8: 5.*

٨ مخطوط يوناني لا يعرف واضعه، ربما يكون بالاديوس.

9 *Epis 193 PG 37: 316.*
10 *Laus: Hius, ch. 56.*
11 *Vita III*
12 *Ep. 14: 5.*
13 *Ep. 14: 1.*
14 *Ep. 14:1.*
15 *De viris illust: ch 21.*
16 *N & PNF, S. v. 9, p 12.*
17 *Soc 6: 11.*